

شرح العقيدة الواسطية

الدرس الثاني عشر

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله؛ أما بعد:

فقد وصلنا عند قول المؤلف رحمه الله: **(فَصْلٌ: وَقَدْ دَخَلَ فِي ذَلِكَ: الْإِيمَانُ بِأَنَّهُ قَرِيبٌ مِنْ خَلْقِهِ مُجِيبٌ؛ كَمَا جَمَعَ بَيْنَ ذَلِكَ فِي قَوْلِهِ: {سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ**

دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ...} الآية)

ما زال المؤلف رحمه الله يتحدث عن مسألة الجمع ما بين علو الله تبارك وتعالى على خلقه وقربه ومعيته؛ فقال: (وَقَدْ دَخَلَ فِي ذَلِكَ) أي: فيما وصف به ربنا تبارك وتعالى نفسه: (الْإِيمَانُ بِأَنَّهُ قَرِيبٌ) من خلقه بعلمه وسمعه وبصره، (مُجِيبٌ) أي: يجيب دعاءهم، (كَمَا جَمَعَ بَيْنَ ذَلِكَ) أي: بين القرب والإجابة، كَمَا جَمَعَ بَيْنَ ذَلِكَ فِي قَوْلِهِ: {سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ...} الآية

قال: **(وقوله ﷺ للصحابه لما رفعوا أصواتهم بالذكر: "أَيُّهَا النَّاسُ ارْزِعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ؛ فَإِنَّكُمْ لَا تَدْعُونَ أَصَمًّا وَلَا غَائِبًا، إِنَّ الَّذِي تَدْعُونَهُ أَقْرَبُ إِلَى أَحَدِكُمْ مِّنْ عُنُقِ رَاحِلَتِهِ")**

فهنا أثبت القرب لله تبارك وتعالى بقوله: "أَقْرَبُ إِلَى أَحَدِكُمْ مِّنْ عُنُقِ رَاحِلَتِهِ"، وهذا القرب هو قربه بعلمه تبارك وتعالى، وبعض أهل العلم قال: هو قرب ملائكته، والأكثر على الثاني.

قال: **(وَمَا ذَكَرَ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ مِنْ قُرْبِهِ وَمَعِيَّتِهِ لَا يَنَافِي مَا ذَكَرَ مِنْ عُلُوِّهِ وَفَوْقِيَّتِهِ)**

فلا منافاة بين الأمرين؛ فهو عالٌّ على خلقه بذاته تبارك وتعالى {الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى}، وهو أيضاً قريب من عباده، معهم بعلمه وسمعه وبصره.

قال: **(فَإِنَّهُ سُبْحَانَهُ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ فِي جَمِيعِ نَعْوَتِهِ)**

في جميع صفاته لا يُأثله شيء.

قال: **(وَهُوَ عَلِيٌّ فِي دُنُوهِ)**

أي: مع دنوّه.

قال: **(قَرِيبٌ فِي عُلُوِّهِ)**

أي: مع علوّه، فهو عليٌّ مع دنوّه، قريب مع علوّه تبارك وتعالى؛ فلا تناقض بين علوّ الله تبارك وتعالى ومعيته لخلقه.

قال: **(فصل: وَمِنَ الْإِيمَانِ بِاللّهِ وَكُتُبِهِ: الْإِيمَانُ بِأَنَّ الْقُرْآنَ كَلَامُ اللَّهِ، مُنْزَلٌ، غَيْرُ مَخْلُوقٍ، مِنْهُ بَدَأُ، وَإِلَيْهِ يَعُودُ، وَأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى تَكَلَّمَ بِهِ حَقِيقَةً)**

(وَمِنَ الْإِيمَانِ بِاللّهِ وَكُتُبِهِ) الذي ذكر في حديث جبريل عليه السلام، لما قال ما الإيمان؟ قال: "أن تؤمن بالله وبكتبه"، فمن الإيمان بالله أن تؤمن بأنّه تكلم بالقرآن كلاماً حقيقياً، ومن الإيمان بكتب الله تبارك وتعالى أن تؤمن بأنّ القرآن كلام الله تبارك وتعالى، تكلم به حقيقة، وهو مُنزل غير مخلوق، والدليل على أنّ القرآن كلام الله تبارك وتعالى قوله جلّ وعلا: {وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ}، والدليل على أنّه منزل من عند الله قوله تبارك وتعالى: {إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ}، فجبريل عليه السلام سمعه من الله تبارك وتعالى، ونزل به على النبي ﷺ.

كلام الله مُنزل غير مخلوق؛ فكلام الله تبارك وتعالى هو صفة له وليس بخلقٍ خلقه تبارك وتعالى؛ بل هو صفة من صفات الله تبارك وتعالى، والدليل على أنّه غير مخلوق قول الله تبارك وتعالى: {أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ} ففرّق الله تبارك وتعالى بين الخلق والأمر، والأمر هذا منه القرآن؛ أي: القرآن من الأمر، فليس هو بمخلوق.

قال: (مِنْهُ بَدَأَ) أي بدأ من الله تبارك وتعالى كلاماً يتكلم به، فهو صفة من صفاته، وقد تكلم به فبدأ منه، (وَالِيهِ يَعُودُ) في آخر الزمان يعود إلى الله تبارك وتعالى، كما جاء في أحاديث صحيحة أنه يسري على المصاحف في ليلة وعلى قلوب العباد فلا يبقى من القرآن شيء فيها، فيرفعه الله تبارك وتعالى إليه، فيعود إلى الله تبارك وتعالى.

قال: (وَأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى تَكَلَّمَ بِهِ حَقِيقَةً) أي: لا كما تقوله الأشاعرة ومن وافقهم من أن كلام الله كلام نفسي؛ لا، الكلام النفسي ليس بكلام؛ لأنه ليس بحرف ولا بصوت، فهو أمرٌ في النفس فقط، هذا معنى كلامهم؛ لكنّ الصحيح أن الله سبحانه وتعالى يتكلم كلاماً حقيقياً بحرف وصوت ويسمعه منه البشر.

(وَأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى تَكَلَّمَ بِهِ حَقِيقَةً) بناء على أصل صفات الله تبارك وتعالى وأنها كلّها صفات حقيقية، وقد ورد- كما مرّ معنا في الدروس السابقة- أدلة أن كلام الله تبارك وتعالى بحرف وصوت.

قال: (وَأَنَّ هَذَا الْقُرْآنَ الَّذِي أَنْزَلَهُ عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ هُوَ كَلَامُ اللَّهِ حَقِيقَةً، لَا كَلَامَ غَيْرِهِ)

هذا تأكيد للجملة التي قبلها؛ يريد المؤلف أن يؤكد رداً على فتنّة الأشاعرة التي قد قويت واشتدت في زمن المؤلف رحمه الله، الذين يقولون بأنّ الله يتكلم كلاماً نفسياً لا كلاماً حقيقياً، وذلك أن هذه الفتنّة قد عظمت في بداية أمرها عندما نفى الجهمية والمعتزلة صفة الكلام عن الله تبارك وتعالى؛ فقالوا: الله سبحانه وتعالى لا يتكلم، لكنّ الأشاعرة كانوا أحسن حالاً منهم قليلاً، ومع أنّهم يُوافقونهم في الأصول؛ إلّا أنّهم أفضل حالاً منهم، لما واجهتهم أدلة الكتاب والسنة وأنّ القرآن كلام الله تبارك وتعالى وأنّ الله يتكلم كلاماً حقيقياً يليق بجلاله وعظمته، أرادوا أن يجمعوا بين أصولهم الفاسدة وبين الأدلة المتواترة التي رأوها أمامهم؛ فما وجدوا سبيلاً إلا أن يقولوا بأنّ الله يتكلم كلاماً نفسياً.

هذا حقيقة ما أوصل الأشاعرة إلى ما أوصلهم إليه- وكما سيأتي أيضاً في مسألة الرؤية- فالأشاعرة تخطوا تخطوا شديداً في هذه القضايا، وسبب ذلك أنهم تعلقوا بأصول الجهمية وتمسكوا بها، وما تخلصوا منها، ومع ذلك كان عندهم شيء من النظر إلى الكتاب والسنة خصوصاً في الأدلة التي هي قاطعة كالشمس، فما استطاعوا أن يردوها كما تجرأ على ذلك الجهمية والمعتزلة، فأرادوا أن يسلكوا مسلكاً وسطاً بين قواعد وأصول الجهمية والمعتزلة وبين نصوص الشرع؛ فتخطوا تخطوا شديداً، لذلك إذا ركزت في عقيدة الأشاعرة وجدتها أكثر العقائد تخطوا- أي: من أهل الكلام- بينما لو قست الأمور أو نظرت إليها من حيث الأصول تجد أصول المعتزلة من حيث تطبيق أحكامهم على أصولهم؛ تجدهم أكثر إتقاناً في تطبيق أحكامهم على أصولهم من الأشاعرة؛ لأنّ الأشاعرة حاولوا أن يجمعوا بين الأصول العقلية التي كانوا عليها وبين نصوص الكتاب والسنة؛ أمّا أولئك فما كانوا يبالون بنصوص الشرع؛ وكان همهم الأعظم في القضية أن يحققوا العقائد عن طريق أصولهم العقلية فقط؛ لذلك وقع الأشاعرة والماتريدية فيما وقعوا فيه من هذا التخط.

قال: (وَأَنَّ هَذَا الْقُرْآنَ الَّذِي أَنْزَلَهُ عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ هُوَ كَلَامُ اللَّهِ حَقِيقَةً، لَا كَلَامَ غَيْرِهِ) أي: ليس بكلام جبريل ولا كلام محمد ﷺ ولا شيء من ذلك.

قال: **(وَلَا يَجُوزُ إِطْلَاقُ الْقَوْلِ بِأَنَّهُ حِكَايَةٌ عَنِ كَلَامِ اللَّهِ، أَوْ عِبَارَةٌ عَنْهُ)** هذا القول قول الكلّابية وقول الأشاعرة.

الكلّابية قالوا: القرآن هو حكاية عن كلام الله وليس هو كلام الله. والأشاعرة قالوا: هو عبارة عن كلام الله وليس هو كلام الله. ومعنى: (حكاية عن كلام الله) أي: مماثلة، ليس هو نفسه لكنه شيء يماثله؛ مثيل له. و(عبارة عن كلام الله) أي: شيء عبّر عن معنى كلام الله تبارك وتعالى، وهذا كله

بناءً على أصولهم من أنّ كلام الله سبحانه وتعالى ليس كلاماً حقيقياً وإنّما هذا القرآن الذي بين أيدينا هو شيء خلقه الله سبحانه وتعالى ليعبر عن مراده أو يمثله؛ وكلّ هذا من الكلام الباطل الفاسد الذي تدلّ أدلة الشرع على بطلانه، وإنّما اعتمدوا كما ذكرنا على أصولهم العقلية.

قال: **(بَلْ إِذَا قَرَأَهُ النَّاسُ أَوْ كَتَبُوهُ فِي الْمَصَاحِفِ؛ لَمْ يَخْرُجْ بِذَلِكَ عَنْ أَنْ يَكُونَ كَلَامَ اللَّهِ تَعَالَى حَقِيقَةً، فَإِنَّ الْكَلَامَ إِنَّمَا يُضَافُ حَقِيقَةً إِلَى مَنْ قَالَهُ مُبْتَدِئًا، لَا إِلَى مَنْ قَالَهُ مُبَلِّغًا مُؤَدِّيًا)**

إذن كلام الله الذي تكلم به تبارك وتعالى حتى لو كُتب في المصاحف أو قرأه الناس لا يخرج عن كونه كلاماً لله تبارك وتعالى؛ فالمؤلف يقول: لأنّ الكلام يضاف إلى قائله أصلاً، فأنت عندما تنقل كلاماً عن شخص؛ تقول: قال فلان كذا وكذا، لأنّ الكلام بتركيبه ذاك هو من قول فلان، فهو الذي قاله أولاً؛ فالكلام يُردّ إلى قائله أولاً لا إلى المتكلم به ثانياً.

قال: **(وَهُوَ كَلَامُ اللَّهِ؛ حُرُوفُهُ وَمَعَانِيهِ، لَيْسَ الْحُرُوفُ دُونَ الْمَعَانِي، وَلَا الْمَعَانِي دُونَ الْحُرُوفِ)**

فهذا الكلام الذي بين أيدينا- الذي هو القرآن- كلّ كلام الله تبارك وتعالى؛ حروفه ومعانيه، كلّ من عند الله تبارك وتعالى لا الحروف فقط، والمعاني ليست من الله، ولا المعاني فقط والحروف ليست من الله.

هذا مذهب أهل السنة والجماعة، وخالفت في ذلك المعتزلة والجهمية؛ فقالوا: الكلام ليس معنى يقوم بذات الله تبارك وتعالى بل هو شيء من مخلوقاته؛ كالسموات والأرض والناقة التي أضافها لنفسه والبيت الذي أضافه إلى نفسه؛ كذلك هذا أضافه إلى نفسه إضافة تشريف كما أضاف الناقة والسماء والأرض... وإلخ، وهذا القول تعلق

به- كما ذكرنا- الجهمية والمعتزلة، وهؤلاء لما ذكروه كان الكلام عندهم هو الحروف، لأنّ كلام الله عندهم عبارة عن حروف وأصوات خلقها الله تبارك وتعالى ونسبها إلى نفسه تشريفاً وتعظيماً فقط، فهو مخلوق، أصوات وحروف لكنّها مخلوقة أضافها إلى نفسه تشريفاً وتعظيماً لها فقط.

أمّا القول الآخر وهو الذي رده المؤلف رحمه الله بقوله: (وَلَا الْمَعَانِي دُونَ الْحُرُوفِ) هذا مذهب الكلالية والأشعرية؛ فكلام الله تبارك وتعالى عندهم هو كلام نفسي؛ معنى في النفس لم يتكلم الله تبارك وتعالى به حقيقة بحرف وصوت، فالحروف والصوت عندهم ليس لله تبارك وتعالى، الذي لله فقط المعنى، أمّا الحرف والصوت فليس لله تبارك وتعالى عند هؤلاء، فالله سبحانه وتعالى خلق أصواتاً وحروفاً تدلّ على المعنى الموجود في النفس، إمّا عبارة وإمّا حكاية، وهذه هي الأقوال التي خرجت عن السنة في هذه المسألة.

وأما أهل السنة والجماعة فمتفقون جميعاً على أنّ القرآن كلام الله، تكلم به حقيقة بحرف وصوت، وهو كلامه بحروفه ومعانيه.

قال المؤلف رحمه الله: **(فصل: وَقَدْ دَخَلَ أَيْضًا فِيمَا ذَكَّرْنَاهُ مِنَ الْإِيمَانِ بِهِ وَيَكْتُبُهُ وَبِمَلَايِكَتِهِ وَبِرُسُلِهِ: الْإِيمَانُ بِأَنَّ الْمُؤْمِنِينَ يَرَوْنَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَيْنًا بِأَبْصَارِهِمْ كَمَا يَرَوْنَ الشَّمْسَ صَحْوًا لَيْسَ بِهَا سَحَابٌ، وَكَمَا يَرَوْنَ الْقَمَرَ لَيْلَةً الْبَدْرُ لَا يُضَامُونَ فِي رُؤْيَيْهِ، يَرَوْنَهُ سُبْحَانَهُ وَهُمْ فِي عَرَصَاتِ الْقِيَامَةِ، ثُمَّ يَرَوْنَهُ بَعْدَ دُخُولِ الْجَنَّةِ كَمَا يَشَاءُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى)**

هذه مسألة رؤية الله تبارك وتعالى يوم القيامة، وقد اتفق أهل السنة والجماعة في هذه المسألة على أنّ المؤمنين يرون ربهم يوم القيامة، وأدلتهم في ذلك كثيرة وهي متواترة؛

منها: قول الله تبارك وتعالى: {وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاصِرَةٌ (٢٢) إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ}، وكذلك قوله تبارك وتعالى: {كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ}، وكذلك قوله ﷺ: "إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر لا تضامون في رؤيته" وهو حديث متفق عليه، والأحاديث في هذا المعنى متواترة، أي: أنها أخبار يقينية لا شك فيها البتة؛ هذه عقيدة أهل السنة والجماعة.

وخالف في ذلك طائفتان:

طائفة الجهمية والمعتزلة: وهؤلاء نفوا أن يرى الله سبحانه وتعالى يوم القيامة. وحجتهم في ذلك الأصلية وهي الأساس الذي بنوا عليها مذهبهم: أنهم إذا أثبتوا رؤية الله تبارك وتعالى؛ يلزم من ذلك إثبات الجهة، وإثبات الجهة يلزم منه التجسيم والتشبيه؛ هذا الذي جعلهم ينفون رؤية الله تبارك وتعالى، هذا قول الجهمية وهذه حجتهم الأصلية.

ثم احتجوا بعد ذلك بآيات من كتاب الله تبارك وتعالى هم يعلمون أنه لا حجة لهم فيها، ولكن أرادوا أن يقولوا قولهم بآيات من كتاب الله لأنهم يعرفون أن أهل السنة لا يقتنعون بفلسفتهم العقلية ويردونها عليهم، فأرادوا أن يردوا على أهل السنة بأدلة من الكتاب.

فاستدلوا بقوله تبارك وتعالى: {لَنْ تَرَانِي} هذا قاله لموسى لما طلب موسى رؤية الله تبارك وتعالى وهو في الدنيا، قال له ربنا تبارك وتعالى: {لَنْ تَرَانِي} أي: في الدنيا ولكن في الآخرة ستراني، فهناك فرق بين أن يطلب الأمر في الدنيا وأن يطلبه في الآخرة. وكذلك من أدلتهم التي استدلوا بها قوله تبارك وتعالى: {لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ}؛ فاستدلوا بهذه أيضاً على أنه تبارك وتعالى لا يرى، لأنه لا تدركه الأبصار،

وردّ عليهم أهل السنة ذلك: بأنّ الإدراك شيء والرؤية شيء آخر؛ لأنّ الإدراك تلزم به الإحاطة، والله سبحانه وتعالى لا يحيط به شيء، وأنت ترى وتنظر إلى السماء فتراها ولكنك لا تدركها؛ إذن هناك فرق بين الرؤية والإدراك، فليس لهم حجة في هذه الآية أيضاً.

فإذن أقوالهم مردودة عليهم والأدلة الصريحة الواضحة تدلّ على أنّ المؤمنين يرون ربهم يوم القيامة؛ هذه الفرقة الأولى وهي فرقة: الجهمية والمعتزلة.

والفرقة الثانية التي تناقضت- كما ذكرنا وهم في الغالب متناقضون في أمر العقيدة- هم: الأشاعرة.

الأشاعرة هؤلاء قالوا بما قاله أهل السنة من إثبات الرؤية لله تبارك وتعالى، إلاّ أنّهم أيضاً بناء على أصول الجهمية؛ نفوا الجهة، فقالوا: يُرى ربنا تبارك وتعالى ويراه المؤمنون ولكن إلى غير جهة؛ فقال أهل العلم: أضحكتم العقلاء من قولكم، لماذا؟ لأنّهم جاؤوا بشيء محال، شيء مستحيل لا يمكن أن يحصل أن ترى الله سبحانه وتعالى وليس في العلوّ أو ليس في جهة كما يقولون، هذا أمر لا يمكن، إذا أردت أن ترى لابد أن تراه وهو في علوّه تبارك وتعالى كما دلت على ذلك النصوص الواضحة والصريحة، أمّا أن تجمع بين أن تراه وأنّه إلى غير جهة؛ فهذا تناقض عجيب، فأضحكوا الناس منهم، وهذا من عجائب ما أخذ على الأشاعرة في عقيدتهم.

خلاصة المسألة: أن عقيدة أهل السنة والجماعة أنّ المؤمنين يرون ربهم تبارك وتعالى يوم القيامة في عرصات القيامة وفي الجنة أيضاً كما ذكر المؤلف رحمه الله هنا. والعرصات هي جمع عرصة وهو المكان الواسع الفسيح، الذي ليس فيه بناء. وقوله: (ثُمَّ يَرَوْنَهُ بَعْدَ دُخُولِ الْجَنَّةِ كَمَا يَشَاءُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ تَعَالَى)

قال أهل العلم: الناس في رؤية الله تبارك وتعالى ينقسمون إلى ثلاثة أقسام:

مؤمنون خلص ظاهراً وباطناً.

كافرون خلص ظاهراً وباطناً.

مؤمنون ظاهراً كافرون باطناً وهؤلاء المنافقون.

أمّا المؤمنون فيرون ربهم تبارك وتعالى في عرصات القيامة وبعد دخول الجنة.

وأمّا الكافرون فلا يرون ربهم مطلقاً على القول الراجح والبعض قال: يرونه رؤية غضب وعقوبة.

وأمّا المنافقون فإنهم يرون الله عز وجل في عرصات القيامة ثم يحتجب عنهم ولا يرونه بعد ذلك.

هذه قسمة الناس في رؤية الله تبارك وتعالى، طبعاً تستحضر في هذه اللحظة أنّ رؤية الله تبارك وتعالى رؤية نعيم وفضل عظيم من ربّ العالمين ما بعده من نعيم، كلّ نعيم الجنة يهون ويخف أمام نعيم النظر إلى وجهه تبارك وتعالى، نسأل الله أن يجعلنا وإياكم من أهل ذلك.

نكتفي بهذا القدر والحمد لله.